Kırıkkale Üniversitesi
Sosyal Bilimler Dergisi (KÜSBD)

ISSN 2146-2879 Kirikkale University Journal of Social Sciences E-ISSN: 2717-6231

Makale Bilgisi/Article Info
Geliş/Received: 18.11.2021 Kabul/Accepted: 21.01.2022
Araştırma Makalesi/Research Article, s./pp. 311-324.

آراء حسين عطوان النقدية في مقدمة القصيدة العربية القديمة[i]

Omar Ali Issa DOUDIN [ii]

ملخص

يهدف هذه البحث إلى تناول الآراء النقدية عند ناقد من النقاد المحدثين البارزين في فلسطين والأردن والوطن العربي، والذي كتب العديد من الدراسات التي تناولت الأدب العربي القديم منذ العصر الجاهلي وحتى نهاية العصر العباسي الثاني، ويركّز هذا البحث على آراء حسين عطوان النقدية في مقدمة القصيدة العربية القديمة.

وقد جاء هذا البحث في قسمين، أولهما تناول فيه الباحث تعريفاً بالناقد حسين عطوان وبيان نتاجه العلمي ودراساته المختلفة، أما القسم الثاني فتناول الآراء النقدية في مقدمة القصيدة العربية عند حسين عطوان.

الكلمات المفتاحية: *عطوان، النقدية، القصيدة، مقدمة، آراء.*

Eski Arap Kaside Önsözünde Hüseyin Atvan'ın Eleştirel Görüşleri

Öz

Bu araştırma Cahiliye döneminden ikinci Abbasi döneminin sonuna kadar eski Arap edebiyatını ele alan birçok çalışma yazan Filistin, Ürdün ve Arap Ülkelerinin önde gelen eleştirmenlerden birinin eleştirel görüşlerini ele almayı amaçlamaktadır. Bu çalışma eski Arap kasidesi önsözünde Hüseyin Atvan'ın eleştirel görüşlerini hedeflemektedir.

Bu çalışma iki kısımda ele alındı. İlk bölüm araştırmacı, eleştirmen Hüseyin Atvan'ın bilimsel sonuçlarını ve çeşitli çalışmalarını açıklamaktadır ve ikinci bölümde ise Arap kasidesi önsözünde Hüseyin Atvan'ın eleştirel görüşlerini ele almaktadır.

Anahtar Kelimeler*: Atvan, Eleştirel, Kaside, Önsöz, Görüşler.*

Hussein Atwan's Critical Opinions in The Introduction to The Old Arabic Poem

Absract

This research aims at addressing the critical opinions of a prominent modern critic in Palestine, Jordan and the Arab world, who wrote many studies that dealt with ancient Arabic literature from the pre-Islamic era until the end of the second Abbasid era, and this research focuses on Hussein Atwan's critical views in the introduction to the Arabic poem Old.

This research is in two parts, the first of which the researcher dealt with an introduction to the critic Hussein Atwan and an explanation of his books and various studies, while the second part dealt with critical opinions in the introduction to the Arabic poem by Hussein Atwan.

Keywords*: Atwan, Criticism, Poem, Introduction, Opinions.*

[i] Bu makale Karabük Üniversitesi Lisansüstü Eğitim Enstitüsünde devam eden "Tenkitçi ve Edebiyatçı Yönüyle Hüseyin Utvan" başlıklı doktora tezinden faydalanılarak hazırlanmıştır.

[ii] Doktora Öğrencisi, Karabük Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Arap Dili ve Belagati Anabilim Dalı, e-posta: omardod71@gmail.com, ORCID ID: 0000-0002-8288-0720

مقدّمة

تعدّ مقدمة القصيدة العربية القديمة من أبرز القضايا النقدية التي تناولها النقاد القدماء والمحدثون بالدراسة والتحليل، وقد اختلفت طرق تناولها ومعالجتها عند الكثيرين منهم، وكانت لهم آراء مختلفة حولها.

ويرى الباحث أن الناقد حسين عطوان كان من أبرز النقاد المحدثين الذين تناولوا مقدمة القصيدة العربية، حيث أفرد لها مجموعة من الدراسات النقدية، جاءت في سلسلة مكونة من خمسة كتب بدأت بالعصر الجاهلي وانتهت بالعصر العباسي الثاني.

من هنا تعد آراء حسين عطوان النقدية في مقدمة القصيدة العربية من أهم الآراء التي تناولت هذه القضية بشكل مفصل ودقيق، وسيعمد الباحث إلى بيان هذه الآراء عند عطوان مقارناً بينها وبين الآراء الأخرى عند غيره من النقاد القدماء والمحدثين، وسيحاول الباحث رصد أهم الآراء في وحدة القصيدة العربية أيضا.

المبحث الأول: تعريف بالناقد حسين عطوان

١. السيرة العلمية والمكونات الثقافية (المبيضين، ٢٠٠٣م، ٩-١١)

هو حسين أحمد عطوان، فلسطيني الجنسية، ولد في اليوم الأول من شهر تشرين الأول عام ألف وتسعمائة واثنين وأربعين في مدينة أسدود جنوب فلسطين، وهي مدينة ساحلية على البحر الأبيض المتوسط، وقعت تحت الاحتلال الإسرائيلي عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين، وبدأ حسين عطوان حياته العلمية من مدارس خان يونس والعريش حيث تلقى فيهما تعليمه الابتدائي والثانوي؛ فنال شهادة الدراسة الابتدائية من مدرسة العريش الثانوية عام ألف وتسعمائة وأربعة وخمسين، وشهادة الدراسة الإعدادية من مدرسة خان يونس الإعدادية عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين، وشهادة الدراسة الثانوية من مدرسة خان يونس الثانوية عام ألف وتسعمائة وتسعة وخمسين ميلادية.

وبعد ذلك التحق حسين عطوان بقسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ألف وتسعمائة وتسعة وخمسين، ونال درجة الليسانس في الأدب العربي بتقدير جيد جداً مع مرتبة الشرف الثانية عام ألف وتسعمائة وثلاثة وستين. ثم عُيّنَ معيداً بقسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب بالجامعة الأردنية عام ألف وتسعمائة وأربعة وستين.

ولم ينته طموح عطوان عند هذه الدرجة العلمية، بل واصل طريقه العلمي والتحق بكلية الآداب بجامعة القاهرة، ونال درجة الماجستير في الأدب العربي من قسم اللغة العربية وآدابها بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى عام ألف وتسعمائة وستة وستين، وكذلك نال من الجامعة نفسها درجةَ الدكتوراه في الأدب العربي بتقدير جيد جداً مع مرتبة الشرف الثانية عام ألف وتسعمائة وثمانية وستين، ثم عاد للتدريس في الجامعة الأردنية، إذ ترقّى إلى رتبة أستاذ مساعد عام ألف وتسعمائة وتسعة وستين، ورقّي إلى رتبة أستاذ مشارك عام ألف وتسعمائة واثنين وسبعين، ثم رقّي إلى رتبة أستاذ عام ألف تسعمائة وستة وسبعين.

ولقد تقلّد عطوان عدة مناصب إدارية في مسيرته التدريسية في الجامعات الأردنية؛ فقد عمل رئيساً لقسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب بالجامعة الأردنية بين عامي ألف وتسعمائة وثمانية وثمانين وألف وتسعمائة وتسعة وثمانين، وعمل عميداً لكلية الآداب في الجامعة نفسها من عام ألف وتسعمائة وتسعة وثمانين إلى عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين. ثم شغل منصب عميد كلية الآداب والعلوم بجامعة عمان الأهلية من عام ألف وتسعمائة واثنين وتسعين إلى عام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين. ثم عمل عميداً لكلية الآداب والفنون بجامعة فيلادلفيا الأهلية بين عامي ألفين وواحد وألفين واثنين.

وقد عُرف عن عطوان الجد والاجتهاد في عمله ، لذلك نرى الجامعة الأردنية عام ألف وتسعمائة وسبعة وثمانين تمنحه ميدالية العيد الفضي بمناسبة مضي عشرين عاماً ونيّف على عمله بالجامعة، وكذلك منحته وزارة الثقافة والإعلام في جمهورية العراق

جائزة صدام حسين للآداب في ميدان تاريخ الأدب، ووشاح صدام للآداب عام ألف وتسعمائة وسبعة وثمانين، وذلك تقديراً لما قدمه من أعمال علمية متميزة في حقل تاريخ الأدب.

ولأن حسين عطوان يتمتّع بمكانة علمية وقدرة على تحكيم الأعمال الأدبية والعلمية فقد أوكلت إليه مهمة تقويم الإنتاج العلمي للترقية إلى رتبتي أستاذ مشارك وأستاذ لعدد من أعضاء هيئة التدريس في العديد من الجامعات الأردنية والعربية، وهذه المهمة تتطلب ناقداً على درجة عالية من الكفاءة والموهبة والعلم والاطلاع. كما شارك عطوان في عضوية العدد من لجان التحكيم لجوائز ثقافية وأدبية على مستوى الأردن والوطن العربي.

ومن الجوانب الأخرى التي ساهمت في التكوين الثقافي للدكتور حسين عطوان عمله في تقويم عشرات البحوث والكتب للجامعات والمجامع الأردنية والعربية، كما شارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية التي تقام في الأردن والعراق والإمارات العربية والهند؛ فقد اشترك في إدارة حلقة الدراسة النقدية لأكثر من سبعة وعشرين مؤتمراً وندوةً ومهرجاناً ثقافياً، وهذا يعكس صورة مشرقة عما يمتلكه عطوان من إمكانيات ثقافية وقدرة ذهنية وفكرية تحفّز على الاطلاع والدراسة.

والمتتبع لحياة حسين عطوان يجد أنه قد حقق قدراً كبيراً من النجاح والتقدم العلمي، وأخذ اسمه يلمع، وبدأت شهرته تذيع في محافل الأدب في الأردن والوطن العربي، ولهذا لا نعجب من إشرافه على حوالي عشرين من رسائل الماجستير والدكتوراه في الجامعة الأردنية، وناقش حوالي عشرين رسالة أخرى.

٢. نتاجه العلمي

يعد حسين عطوان من الأوائل الذين شاركوا في بناء الحركة الأدبية والنقدية في الأردن، إذ بدأ الكتابة بعد حصوله على درجة الماجستير من جامعة القاهرة عام ١٩٦٦م، ويتميز عطوان بغزارة إنتاجه الأدبي وتنوعه، فخلال مسيرة حياته العلمية أصدر ما يقارب أربعة وأربعين كتاباً مطبوعا ومنشوراً حول الأدب العربي شعره ونثره في عصوره المختلفة، وحول موضوعات فكرية وسياسية وتاريخية ونقدية مختلفة.

وسأعرض فيما يأتي الكتب التي ألفها الناقد حسين عطوان، متمثلة بنتاجه العلمي، من خلال ما أنجز من كتب أو تحقيقات، وقسمتها إلى أربعة أقسام حسب العصور الأدبية، وهي:

أ. العصر الجاهلي

- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٧٠.
- بيئات الشعر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٣.

ب. العصر الإسلامي

- مقدمة القصيدة العربية في صدر الإسلام، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٧.
- شعر عمرو بن أحمر الباهلي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٠م.

ج. العصر الأموي

لقد تعددت الموضوعات التي تناولها عطوان في هذا العصر وتنوعت بين المؤلفات التاريخية والفكرية والسياسية، والدراسات الأدبية والنقدية بشكل عام، وهي:

- الرواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- رواية الشاميين للمغازي والسير في القرنين الأول والثاني الهجري، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

- الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- نظام ولاية العهد ووراثة الخلافة في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- الأمويون والخلافة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م.
- الفقهاء والخلافة في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- الشورى في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- ملامح من الشورى في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- القراءات القرآنية في بلاد الشام، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
- الدراسات الدينية بخراسان في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- المرجئة والجهمية بخراسان في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- الرواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.
- مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
- الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٨٩م.
- الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٧٠م.
- ديوان الوليد بن يزيد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- الوليد بن يزيد "عرض ونقد"، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م.
- الشعر والشعراء في بلاد الشام في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
- نصوص من الأدب الأموي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط٢، ٢٠١١م.
- مختارات من الشعر الأموي، (١-٥)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
- خطب عمر بن عبد العزيز ورسائله، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
- جمهرة الخطب الأموية، (١- ٤)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
- جمهرة الرسائل الأموية، (١- ٣)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

د. العصر العباسي

وجاءت الدراسات في هذا العصر متنوعة بين تاريخية وسياسية وشعرية ونقدية، وهي:

- الدعوة العباسية: تاريخ وتطور، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٤م.
- الدعوة العباسية: مبادئ وأساليب، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٤م.
- الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٤م.
- مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
- مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

- الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- شعراء الشعب في العصر العباسي الأول، مكتبة عمان، الأردن، ١٩٧٠م.
- شعر الحسين بن مطير الأسدي، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٢م.
- شعر إبراهيم بن هرمة القرشي، (بالاشتراك مع محمد نفاع)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٩م.
- شعر مروان بن أبي حفصة، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٨٢م.
- شعر علي بن جبلة الملقب بالعَكَوَّك، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٢م.

أما **الكتب التي تناولت العصور بشكل عام** ولم يقصرها على عصر دون غيره فهي:

- وصف البحر والنهر في الشعر العربي من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي الثاني، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.
- الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، دار الجيل، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م.
- مقالات في الشعر ونقده، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- دراسات أدبية، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- دراسات إسلامية، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

المبحث الثاني: الآراء النقدية في مقدمة القصيدة العربية عند حسين عطوان

درس حسين عطوان مقدمات القصائد العربية منذ العصر الجاهلي وحتى نهاية العصر العباسي، وعالجها معالجة تاريخية وفق العصر الذي جاءت فيه؛ لذلك سأعرض لهذه المقدمات، ثم سأذكر آراء النقاد حولها.

١. أقسام المقدمات في دراسات حسين عطوان النقدية

قسّم حسين عطوان مقدمات القصائد إلى قسمين كبيرين: قسم قديم، وقسم جديد، وقد اعتمد في قسمته لهذه المقدمات على كثرتها وقلتها في صدور القصائد(عطوان، ١٩٧٠م، ١١٥).

أ. القسم القديم

ويقصد بها المقدمات التي ظهرت في العصر الجاهلي وبقيت مستمرة عند الشعراء حتى نهاية العصر العباسي، وهي: المقدمة الطللية، والمقدمة الغزلية، ومقدمة وصف الظعن، ومقدمة وصف الطيف، ومقدمة الشباب والشيب، ومقدمة الفروسية.

يرى الناقد حسين عطوان أن **المقدمة الطللية** كانت أكثر المقدمات تكرارا في صدور القصائد على امتداد العصور، على الرغم من أن صورتها قد اختلفت من عصر إلى آخر؛ ففي الوقت الذي حافظ فيه الشعراء الأمويون على صورة المقدمات الجاهلية، نجد أن الشعراء العباسيين قد جددوا فيها من ناحيتين: أما الناحية الأولى فهم لم يحتفظوا بكل تقاليد المقدمة، إذ أسقطوا ما يتصل بالبيئة الصحراوية وما بدّلَ الديار، وما نزل بها من الحيوان، وركّزوا على وصف الأمطار التي نزلت بالديار، وما نبت فيها من ورود وأعشاب، وما تفتح فيها من أزهار(عطوان، ١٩٨٧م، ٢٤).

أما الناحية الثانية فقد ابتدعوا المعاني والصور الجديدة؛ ومن ذلك تشبيههم بقايا المنازل الداثرة بالخال، وتشبيههم أسراب النعام المنتشرة في الديار بمشي النساء إلى المساجد(عطوان، ١٩٨٧م، ٢٤- ٢٥)، وغير ذلك الكثير، وصوّر ابن الرومي الأطلال تبكي وتنوح على أصحابها الذين فارقوها(عطوان، ١٩٨٢م، ١٨٢)، وجعل ابن المعتز الطللَ ينطق ويتكلم ويسأل ويحاور(عطوان، ١٩٨٢م، ٢٤٧).

أما **المقدمة الغزلية** فلا تقلّ شيوعا في صدور قصائد شعراء العصر الأموي عن المقدمة الطللية، إذ افتتحوا عددا كبيرا من قصائدهم بالغزل الذي التفتوا فيه إلى الجمال الحسي في محبوباتهم(عطوان، ١٩٨٧م، ٥٩)، فجاءت ألفاظهم وتراكيبهم قوية صعبة(عطوان، ١٩٨٧م، ٧٦)، ولم يخرج على هذا إلا ابن قيس الرقيات الذي استغل مقدماته الغزلية للتعبير عن مذهبه السياسي حين تغزل بنساء خصومه من بني أمية غزلا مكشوفا شنيعا(عطوان، ١٩٨٧م، ٢٠٢).

وطوّر الشعراء العباسيون المقدمة الغزلية، وتحدثوا عن عشقهم وأشواقهم لمحبوباتهم، وصوّروا ما يعانون من الآلام لإعراض محبوباتهم عنهم، مع اهتمامهم بالجمال الحسي في محبوباتهم(عطوان، ١٩٨٢م، ٨٨)، واختاروا لهذه المقدمات الأوزان القصيرة، كما اختاروا أيضاً الكلمات العذبة الحلوة(عطوان، ١٩٨٢م، ٤٢). ويُلاحظ أن البحتري قد تحوّل بالمقدمة الغزلية إلى "مقدمة موسيقية"، إذ عُنيَ بالأنغام الموسيقية من خلال اختياره للأوزان الخفيفة، وانتقائه للكلمات الرشيقة، وملاءمته بين الحروف والحركات وتقسيمها في البيت الواحد تقسيما يُحدثُ غير قليل من الأصوات والأجراس التي تُعجبنا، ولا نفكر في معانيها(عطوان، ١٩٨٢م، ٤٠، ٩٣).

أما مقدمة **وصف الظعن** فقد أقلّ الشعراء الأمويون من افتتاح قصائدهم بها، وعلى الرغم من ذلك نجد أن بعضهم كالأخطل وجرير قد احتفظوا بشكلها القديم؛ إذ صوروا مشاهد التّحمل والارتحال والهوادج وغيرها من التقاليد الموروثة(عطوان، ١٩٨٧م، ٨٥)، وعلى الرغم من قلّتها فقد أصابها بعض التجديد؛ وهو تجديد يتضح في وصف النابغة الشيباني الذي أضاف البغال التي تحمل الهوادج على ظهورها إلى جانب الإبل، ويتضح ذلك أيضا في وصف عبيد الله ابن قيس الرقيات للظعائن المرتحلات في النيل لا في الصحراء، وفي السفن لا على ظهور الإبل(عطوان، ١٩٨٧م، ١٨٥). ويرى حسين عطوان أن هذا التجديد بإضافة البغال والسفن والنيل هو مظهر من مظاهر الحضارة المستحدثة في العصر الأموي(عطوان، ١٩٨٧م، ١٨٧).

وسار الشعراء العباسيون على نهج الأمويين وأقلّوا من استهلال قصائدهم بهذا النوع من المقدمات، وتركوا وصف الهوادج والثياب، وتركوا وصف الحادي الذي يرشد القافلة، واهتمّوا بوصف آثار الرحيل في نفوس المحبين، فهم يعتنون بالمعاني التي يثيرها الفراق والوداع في نفوسهم، ويهملون رسم مشاهد التحمل والارتحال، وسبب ذلك أنهم فارقوا الحياة الراحلة، واستقروا في حياتهم وتحضّروا(عطوان، ١٩٨٧م، ٣٢– ٣٣)، وقد اختفت هذه المقدمة تماما عند بعض الشعراء العباسيين كابن الرومي والمتنبي(عطوان، ١٩٨٢م، ٤١١).

وحافظت مقدمة **وصف الطيف** على وجودها في العصر الأموي، كما كانت عند الجاهلين والمخضرمين، وهي من المقدمات القليلة النادرة التي لم يستكثر الشعراء من التقديم لقصائدهم بها، ولم يجددوا في شكلها، ولم يضيفوا إلى معانيها وصورها الجاهلية(عطوان، ١٩٨٧م، ٦١)، وحرصوا على مقوماتها وتقاليدها القديمة، إذ عرضوا للوقت الذي يزورهم فيه طيف المحبوبة وهو آخر الليل قبل طلوع الفجر، وللأمكنة التي اجتازها من صحراء موحشة ودروب متداخلة، وذكروا النوق والرحلة ومشقة السفر وتعبه(عطوان، ١٩٨٧م، ٨٦).

ولم يعن الشعراء العباسيون جميعا بهذه المقدمة، بل أعرضوا عنها، ولم يتوصلوا إلى جديد في معانيها، ما عدا البحتري الذي توسّع في افتتاح قصائده المدحية بها، وولّد كثيرا في معانيها، وأثراها بطائفة من المعاني والصور القديمة والمستحدثة والمحوّرة والمبتكرة، إثراءً شهد له القدماءُ به واتخذوه وسيلةً إلى دراسة وصف الطيف، وتبيان أهم مقوماته وتقاليده، على نحو ما جاء في كتاب: "طيف الخيال" للشريف المرتضي(عطوان، ١٩٨٢م، ٤٤– ٤٥).

أما مقدمة **الشباب والشيب** فقد تراجعت عند الشعراء الأمويين، ولم يهتم بها كثيرا إلا الفرزدق، وحافظ على مقوماتها الجاهلية ومعانيها القديمة، ويرى حسين عطوان أن سبب تحسّر الفرزدق على ضياع شبابه وحزنه من مشيبه يعود إلى أنه كان في صدر حياته متهالكا على الملذات منغمسا في اللهو(عطوان،١٩٨٧م، ٩١ – ٩٢).

واستمر الشعراء العباسيون يفتتحون بعض مدائحهم بهذه المقدمة، يبكون على شبابهم ويتحسرون عليه، ويجزعون من مشيبهم ويكرهونه، وتميز أبو تمام بالإكثار من هذه المقدمة وعُني عناية خاصة ببكاء شبابه في صدور مدائحه، وهو يحاول في بعضها الاحتجاج للشيب وتحسينه، ومدحه وتفضيله على الشباب(عطوان، ١٩٨٧م، ٢٣٤- ٢٣٧). ومثل هذا فعلَ البحتري الذي أكثر من التّفجع على الشباب والتوجع من المشيب، وأقلّ في مقابل ذلك من تزيين الشيب والاحتجاج له، والرضا عنه(عطوان، ١٩٨٢م، ٩٨).

ولعل أهم شاعر عباسي أكثرَ من البكاء على شبابه والجزع من مشيبه في مقدمات قصائده هو ابن الرومي، ويبدو أن حياته وما عاش فيه من الحرمان، وما عُرف عنه من اعتلال جسده ونفسه وحدة مزاجه هي التي جعلته أكبرَ متخصص في بكاء الشباب والحياة وحظه العاثر(عطوان، ١٩٨٢م، ١٥١).

ولم يتميز ابن الرومي باستكثاره من هذه المقدمة فحسب، بل تميزت هذه المقدمات عنده بالطول والتفصيل في الوقت الذي لم تكن طويلة عند غيره من الشعراء، ويرى حسين عطوان أن السبب في ذلك يعود إلى أنه وجد في هذه المقدمة متنفسا بثّ فيه ما كان يعاني من الأحزان والحرمان، لتهالكه على متاع الحياة، وعلى رأسها المرأة التي فقدها بفقد شبابه(عطوان، ١٩٨٢م، ١٥٣).

وتضاءل شأن **مقدمة الفروسية** في العصر الأموي حتى كادت تختفي من دواوين الشعراء سوى مقدمة واحدة للأخطل ردد فيها الكثير من المعاني والصور والتقاليد التي وردت عند الشعراء الجاهليين وخاصة حاتم الطائي(عطوان، ١٩٨٧م، ٩٦- ٩٩). وفي العصر العباسي اختفت هذه المقدمة اختفاء من صدور قصائد الشعراء العباسيين إلا بقايا باهتة، وتحوّلوا ببقاياها إلى نوع من الاستجداء والتصعلك(عطوان، ١٩٨٧م، ١٩٩).

وتشاء الأقدار أن يأتي أبو تمام الذي بعث الحياة في هذه المقدمة وخلقها خلقاً جديداً، فهو يحافظ على إطارها الخارجي وعلى الشخصيتين الأساسيتين فيها، وهما: الزوجة وفارسها، كما يحافظ على الحوار بينهما، ولكنه يُغير مضمون الأدوار التي يمثلها البطلان، إذ لا تلومه زوجته ولا تعنفه على كثرة إنفاقه لأمواله، ولا على تعريض نفسه للمهالك، وإنما تلومه على كثرة أسفاره ورحلاته سعياً وراء المجد لتحقيق وجوده(عطوان، ١٩٨٧م ، ٢٠١).

ب. القسم الجديد

ويقصد بها المقدمات الجديدة التي لم تكن موجودة في العصر الجاهلي، بل ظهرت عند الشعراء في العصور اللاحقة، وهي: المقدمة الخمرية، ومقدمة مظاهر الطبيعة، ومقدمة الشكاية من الدهر.

أما **المقدمة الخمرية** فيرى حسين عطوان أن الشاعر الأموي الأخطل هو أول من حاول ابتكارها في صدور بعض مدائحه وأهاجيه، إلا أن هذه المحاولة لم يُكتب لها الشيوع؛ لأن الشعراء الأمويين لم يتخذوا الأخطل إماماً لهم، بل أعرضوا عنه، وغضوا أبصارهم عن محاولته التجديدية، ورأوا فيها خروجاً على التقاليد الفنية والأعراف الاجتماعية، والتعاليم الدينية، وظلوا يفتتحون قصائدهم بالأشكال التقليدية القديمة من المقدمات(عطوان، ١٩٨٧م، ٣١).

وفي العصر العباسي استهلّ كثيرٌ من الشعراء قصائدهم بالمقدمة الخمرية التي دعا لها أبو نواس دعوة قوية واستكثر منها في صدور مدائحه، لتصبح هذه المقدمة أكثر اتجاه جديد في مطالع قصائده وقصائد غيره من الشعراء كمسلم ابن الوليد، وديك الجن الحمصي، وأبان بن عبد الحميد وغيرهم، وهذا اللون من المقدمات تطوّر مع تطوّر الحياة في العصر العباسي، ومع تطور البيئة الاجتماعية والحضارية فيه(عطوان، ١٩٨٧م، ٤٣)؛ إذ تغيرت حياة العرب، وسكنوا المدن التي تجري فيها الأنهار، وتزخر بالأشجار والورود والرياحين، وتطورت وسائل اللهو، وكثرت الحانات، وانتشرت دور الرقص والغناء، وأقبل عليها الشباب يطلبون المتاع واللذة(عطوان، ١٩٨٧م، ١١٣).

وامتازت المقدمة الخمرية عند شعراء العصر العباسي بتناولهم مجالس الخمر وما يحدث فيها من لهو وشرب وغناء، ويصفون الخمر وقِدَمها ورائحتها، ويتحدثون عن صفائها وكؤوسها، ويصورون الساقي والقيان تصورياً دقيقاً، وعمد الشعراء إلى اختيار أخف الأوزان وأرشقها، واختاروا أسهل الكلمات ولاءموا بين الحروف حتى يستحدثوا منها نغمات تشبه أصوات القيان المبحوحة التي كانوا يستمعون إليها في مجالسهم(عطوان، ١٩٨٢م، ٢٠٠).

ومن المقدمات التي ابتكرها الشعراء العباسيون **مقدمة مظاهر الطبيعة** من سحب ماطرة تحيي الأرض بعد موتها، وربيع جميل بأزهاره وورود وأطياره، وانتشر هذا التقليد في صدور قصائد أبي تمام الذي تميّز بأنه أكثر في هذه المقدمات من المعاني النادرة المبتكرة التي زيّنها بألوان البديع من جناس وطباق جعلها رائعة جميلة، وتميز كذلك بأنه لم يترك وصف الطبيعة مفصولا عن موضوع المدح، فهو ينتقل من وصف الطبيعة إلى المدح انتقالا تتصل فيه المقدمة مع الموضوع، إذ كان في الغالب يذكر في آخر بيت يصفها فيه بأنها من خير الممدوح أو أنها تشبه خيره(عطوان، ١٩٨٧م ، ١٨٢).

وتبّنى هذا التقليد الذي اخترعه أبو تمام كل من البحتري وابن الرومي وابن المعتز، وفي ذلك دلالة على أن هذه المقدمة مرتبطة أشد الارتباط بحياتهم المتحضرة وبيئتهم الجميلة؛ فلولا تغير البيئة واختلاف طبيعتها وانتشار مناظر الربيع في نواحيها، لما استهوتهم ولما كان يمكن أن يفتتحوا بعض مدائحهم بوصف مناظرها(عطوان، ١٩٨٢م، ٢٠٤).

وهناك مقدمة أخرى ابتكرها الشعراء العباسيون، وهذه المقدمة متصلة اتصالا مباشرة بالحياة العباسية، وما فيها من الفقر وسوء الحال وظلم الزمان، هي **مقدمة الشكاية من الدهر** وحوادثه، نثرها أبو تمام في تضاعيف مقدماته المختلفة(عطوان، ١٩٨٧م ، ٢٣٧)، وظهرت بشكل أوضح عند البحتري إذ أفرد لها بعض المقدمات الكاملة التي لا تختلط بغيرها من الافتتاحات الأخرى(عطوان، ١٩٨٢م، ٥٣، ١٢٩)، ثم تبعه في ذلك ابن المعتز الذي شكا من الدهر وتقلبه كما شكى من الفساد والظلم السياسي الذي وقع على قومه من الأعاجم ودعا للثورة عليهم، واغتصاب الحكم منهم(عطوان، ١٩٨٢م، ٥٤– ٥٥)، وأخذت هذه المقدمة صورتها التامة على يد المتنبي، إذ كانت مقدماته تصور أدوار حياته ونفسيته(عطوان، ١٩٨٢م، ٥٥).

ويوجد مقدمات أخرى مبتكرة، ولكن لم يُكتب لها الشيوع والاستمرار؛ لأنها كانت محاولات فردية عند بعض الشعراء ولم تنتقل إلى غيرهم، ويصل عددها إلى ثماني مقدمات، كان أولها **مقدمة وصف الرحلة في السفن** التي ابتكرت في العصر الأموي على يد عبيد الله بن قيس الرقيات الذي وفد على عبد العزيز بن مروان بمصر، ورأى نيلها وما يجري فيه من السفن، فأُعجبَ بهذا المنظر، وصور نساء عبد العزيز وهن ينتقلن بالسفن من مكان إلى آخر(عطوان، ١٩٨٧م، ١٨٥، ١٨٨)، وجعل هذا الوصف مقدمة لقصيدته القافية التي امتدح بها ابن مروان(ابن قيس الرقيات، ١٩٥٨م، ١٥٨). وفي العصر العباسي قام ابن الرومي بتقليد ابن قيس الرقيات؛ ففي ديوانه مقدمة واحدة وصف فيها رحلته في السفينة إلى الممدوح(عطوان، ١٩٨٢م، ٢٠٤).

وكانت المقدمة الثانية مقدمة **الحنين إلى الوطن** التي ابتكرها بعض الشعراء الذين اشتركوا في جيوش الفتوح التي زحفت إلى بلاد فارس والروم، وهي مقدمة يضمنها الشاعر المجاهد أشواقه وحنينه إلى وطنه وأهله(عطوان، ١٩٨٧م، ٨٥)، ولم تظهر هذه المقدمة إلا مرة واحدة عند أبي نواس وصف فيها حنينه ــوهو بمصرــ إلى الكرخ ومجالسها ويصور حياة الغربة وشوقه إلى ابنته(عطوان، ١٩٨٧م ، ١٤٥)، وظهرت مرة أخرى عند البحتري صوّر فيها حنينه إلى منبج وإلى أهله وعشيرته فيها، وذلك لكثرة غيابه عنهم(عطوان، ١٩٨٢م، ١٤٢).

أما المقدمة الثالثة فكانت **المقدمة الدينية** التي ابتكرها لبيد بن ربيعة واستوحى معاني بعض الآيات القرآنية وصاغها صياغة جديدة وافتتح بها بعض قصائده(عطوان، ١٩٨٧م، ٩٠)، وتكررت هذه المقدمة مرتين عند ابن الرومي في قصائده التي امتدح فيها شخصيتين تشتغلان بالقضاء(عطوان، ١٩٨٢م، ٢٠٩).

وكانت المقدمة الرابعة **مقدمة وصف الحراقات** التي لم ترد إلا عند أبي نواس(عطوان، ١٩٨٧م، ١٤٤)، واخترع أبو تمام المقدمة الخامسة وهي **مقدمة التنجيم** التي افتتح بها قصيدة فتح عمورية(عطوان، ١٩٨٧م ، ١٩٦)، وابتكر البحتري المقدمة السادسة وهي **مقدمة وصف الحَلْبة**(عطوان، ١٩٨٢م، ١٤٦)، وجاء ابن الرومي بالمقدمة السابعة وهي **مقدمة وصف المهرجان**، وجاء كذلك بالمقدمة الثامنة وهي **مقدمة وصف العيد وأفراحه**، وهذه المقدمات ترتبط ارتباطا وثيقا إما بالظرف الذي نظم فيه القصائد التي افتتحها بها، وإما بشخصية الممدوح الذي قدّم لمدحته فيه بها(عطوان، ١٩٨٢م، ٢٠٨).

يتضح لنا من خلال ما سبق أن الناقد حسين عطوان قد قام بدراسة مقدمات القصائد دراسة تفصيلية منذ العصر الجاهلي وحتى نهاية العصر العباسي، ووقف على التطور الذي شهدته هذه من المقدمات من عصر إلى آخر، وذكر أسباب هذا التطور والتغير وأرجعه إلى الظروف الحضارية والبيئية والاجتماعية والدينية التي عاش فيها الشعراء.

٢. آراء النقاد في مقدمات القصائد

ثم تحدث عطوان عن آراء النقاد القدماء في مقدمات القصائد، ولاحَظَ أن آراءهم كانت تدور حول افتتاحات القصائد ومطالعها، أي البيت الأول منها، وكانت ملاحظاتهم تدور على استحسانهم أو استقباحهم لبعض هذه المطالع، ووجد أنهم لم يلتفتوا للمقدمة كاملة(عطوان،١٩٧٠م، ٢١٠– ٢١٢).

وقسم عطوان أقوال القدماء في المطالع إلى قسمين: قسم أعطوا فيه ملاحظات، وقسم قدموا فيه نصائح للشعراء، أما الملاحظات فقد تحدث أبو هلال العسكري(العسكري، ١٩٥٢م، ٤٣٣) وابن رشيق القيرواني(ابن رشيق القيرواني، ١٩٥٥م، ٢١٨) وابن الأثير(ابن الأثير الكاتب، ١٩٦٢م، ٩٦) وابن طباطبا(ابن طباطبا العلوي، ٢٠٠٥م، ١٢٦) عن المطالع الحسنة التي أعجبوا بها، وتحدثوا كذلك عن المطالع التي استقبحوها. وقام بعضهم بإحصاء المطالع الجيدة والرديئة عند بعض الشعراء(الجرجاني، ١٩٥١م، ١٥٥).

وأما النصائح فأخذ النقاد القدماء يطالبون الشعراء بمراعاة مجموعة من القواعد، وأهمها أن يوازن الشاعر موازنة دقيقة بين أقسام القصيدة بحيث لا يطغى أحد أجزائها على الأجزاء الأخرى، ولا يكون أطول منها، بل تكون كل الأجزاء متناسقة متناسبة(عطوان، ١٩٨٧م، ٢٤٥)، يقول ابن رشيق القيرواني: "من عيوب هذا الباب أن يكثر التغزل ويقل المدح" (ابن رشيق القيرواني، ١٩٥٥م، ٢٣٢)، ونصحوا الشعراء أن يتجنبوا ولا يكثروا من استخدام كلمات: (ألا، وخَليلَيّ، وقد)؛ لأنها تدل على ضعف الشاعر(ابن رشيق القيرواني، ١٩٥٥م، ٢١٨)، ونصحوهم أيضا أن يبتعدوا عن التعقيد في الابتداء وعن الأقوال التي يُتطيّر بها خصوصا في قصائد المدح(ابن طباطبا العلوي، ٢٠٠٥م، ١٢٦).

ويرى حسين عطوان أن النقاد القدماء كانوا لا يقيمون للشاعر وزناً، بل كان الشاعر عندهم منسياً، إذ أخذوا يقيدونه ويحاصرونه بقواعدهم فاصلين بينه وبين مشاعره، ومبعدين له عن نفسه، ومسخرين إياه لخدمة الممدوح، ظناً منهم أن الشاعر لا يقصد إلى التعبير في مدحته عن رأيه، بل يقصد إرضاء الممدوح لنيل المكاسب المادية أو المكانة الرفيعة عنده(عطوان، ١٩٨٧م، ٢٤٧).

ولاحظ عطوان أن القدماء قد اعتنوا بمطالع المدائح وفواتحها، ظناً منهم أن الأشعار كلها مدائح، وأنه لا هدف للشاعر من مدحته إلا الكسب، وعرض لرأي ابن قتيبة الذي يصف فيه شكل المدحة الجاهلية التي تبدأ بالموقوف على الأطلال، ويبين أقسامها، ويطلب من الشعراء الالتزام بشكلها الذي استخرجه من دراسته للنماذج القديمة(عطوان، ١٩٧٠م، ٢١٥).

وعارض عطوان رأيَ ابن قتيبة الذي حاول أن يلزم فيه كل الشعراء بشكل المدحة القديمة، وكأنه متناسياً أن الشعراء الأقدمين قد استهلوا مدائحهم بوصف الأطلال لأن حياتهم الاجتماعية كانت سبب ذلك، ونسي ابن قتيبة أن يفسح المجال أمام

الشعراء المتأخرين حتى يعدلوا في هذا الشكل، ويغيروا فيه، ويخترعوا شكلا آخر يتناسب مع حياتهم الجديدة المتحضرة(عطوان، ١٩٨٧م ، ٢٤٩).

ويؤكد حسين عطوان أن الشعراء المتأخرين لم يستجيبوا لنصائح ابن قتيبة؛ لأن دراسة مقدمات قصائدهم تثبتُ أنهم عدلوا فيها، وأضافوا إليها ما تلاءم مع حياتهم وبيئتهم، وغيروا في كثير من عناصر المقدمة الطللية، ووصفوا ارتحالهم في السفن وتركوا الناقة، واخترعوا مقدمات جديدة كالمقدمة الخمرية ومقدمة وصف مظاهر الطبيعة وغيرها(عطوان، ١٩٨٧م ، ٢٤٩).

ويفسر القدماء تمسك الشعراء بالمقدمات وحرصهم عليها بهدف تهيئة السامعين وجذب انتباههم لكي يصغوا إلى الموضوعات الأساسية لقصائدهم، فالمقدمة عندهم وسيلة إلى غاية أخرى هي خدمة الموضوع الأساسي للقصيدة، وإعداد السامعين لاستقباله والإنصات له، يقول القاضي الجرجاني: "الشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال...، فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم إلى الإصغاء"(الجرجاني، ١٩٥١م، ٤٧) ، ويقول أبو هلال العسكري: "إذا كان الابتداء حسناً...، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام"(العسكري، ١٩٥٢م، ٤٣٧)، ويقول ابن الأثير: " إنما خصت الابتداءات بالاختيار لأنها أول ما يقرع السمع من الكلام، فإذا كان الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده توفرت فيه الدواعي إلى استماعه، وكان سببا للتطلع نحوه والإصغاء إليه"(ابن الأثير الكاتب، ١٩٦٢م، ٩٨).

يتضح مما سبق أنه لا خلاف بين النقاد القدماء في أن الشعراء إنما كانوا يمهدون لقصائدهم بتلك المقدمات لكي يهيئوا المستمعين، ويستميلوا قلوبهم حتى إذا بدأوا في الموضوعات الأساسية لقصائدهم ضمنوا استماعهم لها(عطوان، ١٩٨٧م، ٢٥٨).

أما بالنسبة لآراء النقاد المحدثين فإننا نجد حسين عطوان ينتقدهم لأنهم يصدرون أحكاماً على الشعر الجاهلي دون استقراء لنصوصه كلها، فهو يرد على بروكلمان وغيره من المحدثين ممن قالوا إن الشعراء الجاهليين لم يفتتحوا قصائدهم إلا بالمقدمة الطللية(بروكلمان، ١٩٥٩م، ٥٩)، ويظهر هذا الرد في قوله: "وهو وهم مردّه إلى أن أحكامهم على الشعر الجاهلي لم تصدر عن استقراء لنصوصه كلها، ولا عن دراسة لأشعاره ودواوينه جميعها، وإنما قامت على النظر في مجموعة بعينها أو في مختارات منه دون غيرها"(عطوان، ١٩٧٠م، ١١٤).

وناقش حسين عطوان رأي كل من: المستشرق الألماني "فالتر براونة"(فالتربراونة، ١٩٦٣م، ١٥٦)، وعز الدين إسماعيل(إسماعيل، ١٩٦٤م، ٣)، فَهُما يريان أن المقدمة الطللية جاءت لتعبّر عما يشعر به عرب الجاهلية من القلق والحيرة، وهي تعبر كذلك عن أزمة الإنسان الجاهلي، وعن موقفه من الكون وخوفه من المجهول، فالشاعر في هذه المقدمة يجمع بين الحب المهدد برحيل المحبوبة وبين الحياة المهددة بالخراب(عطوان، ١٩٧٠م، ٢١٦- ٢٢٠).

ويرى يوسف خليف(خليف، ١٩٦٥م، ١٦) ومحمد جابر الحيني(الحيني، ١٩٦٣م، ٤٣) أن المقدمة الطللية ترجع إلى طبيعة الحياة الجاهلية، فهي وثيقة الصلة بالحياة الاجتماعية للعرب والتي قامت على البحث عن أماكن الماء وتتبع وجود العشب(عطوان، ١٩٨٧م، ٢٥٨)، وبعد مناقشة عطوان لهذه الآراء وجد أن القصيدة الجاهلية تقسم إلى قسمين: مقدمتها وهي القسم الذاتي الذي يعبر فيه الشاعر عن ذاته وواقع حياته، وموضوعها وهو القسم الغيري وهو الموضوع الأساسي الذي يعبر فيه الشاعر عن رأي قبيلته(عطوان، ١٩٧٠م، ٢٣١). وهذا التقسيم الذي ارتضاه حسين عطوان يعني أنه يرفض ويعارض رأي أحمد أمين الذي يخاطبك بأنك: "تشعر حين تقرأ الشعر الجاهلي_ غالبا_ أن شخصية الشاعر اندمجت في قبيلته حتى كأنه لم يشعر لنفسه بوجود خاص،...، وقل أن تعثر على شعر ظهرت فيه شخصية الشاعر، ووصف ما يشعر به وجدانه، وأظهر فيه أنه يحس لنفسه بوجود مستقل عن قبيلته"(أمين، ١٩٦٩م، ٥٩). وذهب عطوان إلى أبعد من ذلك حين وجد بعض القصائد الجاهلية الذاتية التي أفردها أصحابها للحديث عن أنفسهم دون قبائلهم، وضرب مثلا على ذلك معلقة امرئ القيس؛ فإنه لم يتعرض فيها إلا لوصف الأطلال، ومحبوباته ومغامراته، وفرسه وخروجه للصيد، ووصف سيل من السيول الجارفة(عطوان، ١٩٧٠م، ٢٣٢).

أما آراء النقاد المحدثين في مقدمات القصائد في العصور الأخرى فهي قليلة جداً اقتصرت على إشارات بسيطة عند طه حسين في شرحه لبعض مقدمات قصائد المتنبي(حسين،(د.ت)، ٢٩٨- ٣٠٠)، وكذلك فعل يوسف خليف عندما تحدث عن مطالع قصائد المتنبي في كافور الإخشيدي وبيّن أنها تصور نفسية المتنبي(خليف، ١٩٥٨م، ٨٥)، ووقف عند كل منها، محللاً لها تحليلا عميقا(عطوان، ١٩٩٧م، ٩٠).

ويرى حسين عطوان أن المقدمات تقليد ابتدعه الجاهليون، ثم استمر في العصور التالية مرتبطاً بالبيئة ونوع الحياة والحضارة فيها، وظلت المقدمات موصلة بذلك ومتطورة معه، وهي تدور حول معاني الشوق والحنين إلى الماضي، ومعنى ذلك أن المقدمات قديمها وحديثها كانت تقليداً استغله الشعراء لتصوير حياتهم العاطفية والفكرية، والتعبير عن تأثرهم بها وموقفهم منها(عطوان، ١٩٨٧م، ٢٦٠- ٢٦٣).

يتضح لنا مما سبق أن آراء النقاد القدماء والمحدثين في المقدمات كانت مختلفة؛ حيث ركّز القدماء اهتمامهم على البيت الأول من القصيدة (المطلع)، وأخذوا ينصحون الشعراء بالمطالع الحسنة التي تجذب اهتمام السامع، وينتقدون المطالع التي تنفّر السامع عن موضوع القصيدة، ونصحوهم بالملاءمة بين المطلع وموضوع القصيدة خاصة في المدح. أما آراء النقاد المحدثين فذهب أغلبهم إلى أن المقدمات جاءت لتعبر عن ذات الشاعر وموقفه من الحياة ، ورجّح عطوان أن تكون المقدمات نوعاً من التعبير عن الذكريات والحنين إلى الماضي، وهذا متصل بنفسية الشاعر وعواطفه وشعوره بما يحيط به.

٣. رأي النقاد القدماء في وحدة القصيدة العربية

إن الاختلاف عند بعض النقاد القدماء حول ملاءمة مقدمات القصائد لموضوعاتها قاد الناقد حسين عطوان للحديث عن قضية نقدية هامة وهي: "رأي النقاد القدماء في وحدة القصيدة العربية" فبعض القدماء يعدون القصيدة متماسكة، لا انفصال فيها بين المقدمة والموضوع، ويرون أنهما يرتبطان ارتباطاً يشبه الوحدة العضوية التي يؤدي فيها كل جزء وظيفته ويتلاحم مع ما بعده، حتى تكتمل صورة القصيدة، وإذا حدث خلل أو سقط بيت من القصيدة انهدم بنيانها(عطوان، ١٩٨٧م، ٢٠٩).

يتضح هذا الرأي في قول ابن طباطبا: "أحسن الشعر ما ينتظمُ القولُ فيه انتظاما يُنسّقُ به أوله مع آخره على نحو ما ينسقه قائله، فإن قُدِّمَ بيتٌ على بيت دَخلهُ الخللُ...، بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها...، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغاً، لا تناقض في معانيها، ولا وَهْيَ في مبانيها، ولا تكلّف في نسجها، تقتضي كل كلمة ما بعدها، ويكون ما بعدها متعلقا بها مفتقرا إليها"(ابن طباطبا العلوي، ٢٠٠٥م، ١٣١).

ويتضح كذلك في رأي الحاتمي الذي نقله ابن رشيق: " إن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحدٌ عن الآخر وبَايَنَه في صحة التركيب، غادَرَ بالجسم عاهةً تتخوّنُ محاسنَهُ وتُعَفِّي معالمَ جماله" (ابن رشيق القيرواني، ١٩٥٥م، ١١٧).

من خلال النصين السابقين نجد أن ابن طباطبا والحاتمي قد ذهبا إلى أن القصيدة العربية القديمة تتوافر فيها الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية، التي يكون فيها كل قسم متصلا بما بعده، فلا تنتهي الأقسام حتى تكتمل صورة القصيدة، وتأخذ شكلها النهائي الذي لا نستطيع أن نزيد عليه أو ننقص فيه، ولا نستطيع أن نقدم جزءاً أو نؤخره، ولا نستطيع أن نحذف بيتاً أو نضيفه(عطوان، ١٩٨٧م، ٢١٠).

ولكن حسين عطوان يعارض الرأي السابق إذ وجد أن معظم قصائد الشعر العربي القديم لا تتوافر فيها الوحدة الموضوعية ولا الوحدة العضوية؛ لأنها تتألف غالباً من قسمين: المقدمة، والموضوع، وهما قسمان متعددان الأشكال ومتنوعان الأغراض، لا رابط بينهما، ويتفق في ذلك مع رأي محمد غنيمي هلال الذي يرى أن النقاد العرب صبّوا جهودهم على وصل الأفكار الجزئية

بعضها ببعض داخل البيت أو البيتين المتجاورين، فلم يصلوا في فهمهم إلى وحدة الموضوع، ولا إلى تآلف أجزائه في داخله، ولا إلى الوحدة العضوية(هلال، ١٩٩٧م، ٢٠٣).

ويرى حسين عطوان أن النقاد القدماء لم يفهموا قضية الوحدة في القصيدة القديمة فهما صحيحاً؛ لأنهم يعترفون بأن القصيدة تتكون من مقدمة وموضوع، ولكنهم يرون أن الشاعر إذا أحسن الانتقال من المقدمة إلى الموضوع بحيث يصل آخر أبيات المقدمة بأول أبيات الموضوع فإنه يحقق الوحدة الموضوعية أو الوحدة العضوية في القصيدة، وإذا لم يُحسن وصْلَ المقدمة بالموضوع فإن قصيدته تكون مفككة غير مترابطة(عطوان، ١٩٨٧م، ٢١١).

ووجد عطوان أن النقاد القدماء يتحدثون عن التخلص وهو الخروج من معنى إلى معنى آخر، وقد فرقوا بين نوعين من التخلص: نوع لا يكون معه أي اتصال بين المقدمة والموضوع، وهو كثير عند الشعراء الجاهليين، ونوع آخر يكون فيه اتصال بين المقدمة الموضوع، وهو كثير عند الشعراء العباسيين(عطوان، ١٩٨٧م ، ٢١١)، واستشهد على ذلك بعدة آراء منها قول ابن الأثير الذي يعرّف التخلص على أنه انتقال الشاعر من معنى إلى معنى آخر بحيث يجعل المعنى الأول سبباً إلى المعنى الثاني، فيكون الكلام متصلا ببعضه، دون أن يقطع الشاعر كلامه ويستأنف كلاماً آخر، ويعرّف الاقتضاب على أن الشاعر يقطع كلامه الذي يقوله، ويبدأ كلاماً غيره من مديح أو هجاء، ولا يكون للثاني علاقة بالأول(ابن الأثير الكاتب، ١٩٦٢م، ١٢١).

فمسألة وحدة القصيدة عند القدماء تعني أن تتألف القصيدة من عدة موضوعات أو أقسام يُحسنُ الشاعر ربطَ كل قسم منها بالآخر بأي وسيلة من الوسائل، وبذلك تكون قصيدته عندهم متماسكة مترابطة في معانيها ومبانيها، وهي في رأي عطوان ليست كذلك، كما أنها لا تشكل وحدة موضوعية ولا وحدة عضوية، وإنما تبقى مكونة من معان متعددة وموضوعات مختلفة، والربط بينها على تنوّعها لا يجعل منها عملا فنيا متماسكا متكاملا(عطوان، ١٩٨٧م، ٢١٥).

يتضح مما سبق أن حسين عطوان يميل إلى أن غالبية القصائد العربية القديمة لا تتوافر فيها الوحدة العضوية ولا الوحدة الموضوعية، لأنها تدور حول موضوعين مختلفين هما: المقدمة والموضوع، وهما قسمان مختلفان اختلافا كبيرا، والربط بينهما لا يجعلهما موضوعاً واحداً، ولكنه (حسين عطوان) يميل إلى وجود الوحدة النفسية في القصائد الجاهلية.

ومعنى الوحدة النفسية أن الشاعر إذا كان منفعلاً بمناسبة قصيدته، وكان موقفه من القضية التي يتناولها صادقا، فإنه كان يبث في قصيدته لوناً من الشعور ينبثق من مناسبتها وموقفه منها انبثاقا دقيقا، فينتشر في قصيدته كلها نوعٌ من العاطفة، ويظهر ذلك في مقدمتها وموضوعها، وفي بقية أجزائها(عطوان، ١٩٨٧م، ١١).

ويشير عطوان إلى أن المستشرق "غوستاف فون غرنباوم" قد أحس الوحدة النفسية إحساسا ضعيفاً غامضا، ولم يوضحه، ولم يأت بالأمثلة التي تدل عليه، ولم يتحدث عنه بشكل مفصل، واكتفى بهذا القول: "إنّ هناك نوعاً من رابطةٍ نفسيةٍ بين القفز الاستطرادي من موضوع إلى موضوع، وبين الانتقالات العاجلة من حال إلى حال، ومن انتباه إلى انتباه في القصائد الجاهلية"(غرنباوم، ١٩٥٩م، ٤٢).

ويرى عطوان أن الوحدة النفسية تتمثل في غير قليل من القصائد الجاهلية، وهي وحدة متنوعة الأشكال، إذ كان يشيع في قصائد كل موضوع من الموضوعات نوع من العاطفة، وكانت المناسبات والغايات التي تحيط بكل قصيدة تحدد نوع العاطفة التي تغلب عليها، وكان الشعراء يحققون الوحدة النفسية في قصائدهم بوسائل مختلفة، ومثال ذلك أن الشاعر إذا قال قصيدة في الرثاء فإنه لا يفتتحها بمقدمة طللية ولا بمقدمة غزلية، بل كان يفتتحها بأبيات معدودة من الحكمة تلائم مقامها وموضوعها، وحتى المراثي القليلة التي افتتحها بعض الشعراء بالأطلال، فإنهم أحسنوا فيها؛ لأن مشهد الديار الخالية وما يثير من حزن وألم ومواجع وهموم، وما يبعث من تفير في البقاء والفناء، يتفق مع موضوع الرثاء ومناسبته المؤلمة أكبر اتفاق، وكذلك الأمر حين افتتحوا بعض المراثي بالغزل، فأنهم عبّروا فيه عن بعدهم وهجرهم للمحبوبة لا عن شوقهم لها(عطوان، ١٩٨٧م، ١٢، ٣٥).

وبعد أن وضح عطوان مفهوم الوحدة النفسية في القصيدة الجاهلية، وجاء بالأمثلة التي تدل على ذلك، وتحدث عن ذلك بشكل مفصل نستطيع القول بأنه أثبت وجود هذه الوحدة في الشعر الجاهلي، ورفض وعارض وجود الوحدة الموضوعية أو الوحدة العضوية في معظمه.

الخاتمة

يرصد الباحث بعد هذه الدراسة النتائج الآتية:

أولاً: يعدّ حسين عطوان من النقاد المحدثين الذين درسوا الأدب القديم وفق مناهج النقد الحديث، خاصة المنهج التاريخي الذي طبقه في دراسته للعديد من المسائل النقدية ومنها مقدمة القصيدة العربية في عصورها المختلفة.

ثانياً: قسّم حسين عطوان المقدمات إلى قسمين: قديم وجديد، وكانت المقدمة الطللية هي أكثر المقدمات القديمة انتشارا في صدور القصائد تليها المقدمة الغزلية، ثم مقدمة وصف الظعن، ثم مقدمة وصف الطيف، ثم مقدمة الشباب والشيب، ثم مقدمة الفروسية، أما المقدمات الجديدة فهي المقدمة الخمرية، ومقدمة مظاهر الطبيعة، ومقدمة الشكاية من الدهر.

ثالثاً: ابتكر الشعراء مقدمات جديدة أخرى هي مقدمة وصف الرحلة في السفن، ومقدمة الحنين إلى الوطن، ومقدمة وصف الحراقات، ومقدمة التنجيم، ومقدمة وصف الحلبة، والمقدمة الدينية، ومقدمة وصف المهرجان، ومقدمة وصف العيد وأفراحه.

رابعا: بيّن حسين عطوان أن المقدمات تقليد ابتدعه الجاهليون، ثم استمر في العصور التالية مرتبطاً بالبيئة ونوع الحياة والحضارة فيها، وظلت المقدمات موصولة بذلك ومتطورة معه، وهي تدور حول معاني الشوق والحنين إلى الماضي، ومعنى ذلك أن المقدمات قديمها وحديثها كانت تقليداً استغله الشعراء لتصوير حياتهم العاطفية والفكرية، والتعبير عن تأثرهم بها وموقفهم منها.

خامسا: أوضحت الدراسة أنه لا خلاف بين النقاد القدماء في أن الشعراء إنما كانوا يمهدون لقصائدهم بتلك المقدمات لكي يهيئوا المستمعين، ويستميلوا قلوبهم حتى إذا بدأوا في الموضوعات الأساسية لقصائدهم ضمنوا استماعهم لها.

سادساً: بيّنت الدراسة أن حسين عطوان يميل إلى أن غالبية القصائد العربية القديمة لا تتوافر فيها الوحدة العضوية ولا الوحدة الموضوعية، لأنها تدور حول موضوعين مختلفين هما: المقدمة والموضوع، وهما قسمان مختلفان اختلافا كبيرا، والربط بينهما لا يجعلهما موضوعاً واحداً، ولكنه (حسين عطوان) يميل إلى وجود الوحدة النفسية في القصائد الجاهلية.

قائمة المصادر والمراجع

الآمدي، الحسن بن بشير، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٦١م

ابن الأثير الكاتب، أبو الفتح، ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وآخر، مكتبة نهضة مصر، ط١، ١٩٦٢م

إسماعيل، عز الدين، النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفسير النفسي، مجلة الشعر، مصر، العدد ٢، السنة ١، فبراير، ١٩٦٤م

أمين، أحمد، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، ط١٠، بيروت، ١٩٦٩م

بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط٥، مصر، ١٩٥٩م

الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وآخر، دار إحياء الكتب العربية، ط٣، (د.م)، ١٩٥١م

حسين، طه، مع المتنبي، دار المعارف، (د.ط)، مصر، (د.ت)

الحيني، محمد جابر، أنوار في دراسات وأبحاث، دار القلم، (د.ط)، القاهرة، ١٩٦٣م

خليف، يوسف، مطالع الكافوريات وكيف تصور نفسية المتنبي، مجلة المجلة، العدد ١٦، السنة ٢، إبريل، ١٩٥٨م

_____، مقدمة القصيدة الجاهلية: محاولة جديدة لتفسيرها، مجلة المجلة، العدد ٩٨، السنة ٩، فبراير، ١٩٦٥م

ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط٢، مصر، ١٩٥٥م

ابن طباطبا العلوي، محمد بن أحمد، عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٥م

العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهيل، كتاب الصناعتين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وآخر، دار إحياء الكتب العربية، ط١، (د.م)، ١٩٥٢م

عطوان، حسين، دراسات أدبية، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٩٩٧م

_____، مقالات في الشعر ونقده، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٩٨٧م

_____، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعارف، ط١، مصر، ١٩٧٠م

_____، مقدمة القصيدة العربية في صدر الإسلام، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٩٨٧م

_____، مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٩٨٧م

_____، مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٩٨٧م

_____، مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٩٨٢م

غرنباوم، غوستاف فون، دراسات في الأدب العربي، ترجمة: إحسان عباس وآخرون، دار الحياة، (د.ط)، بيروت، ١٩٥٩م

فالتربراونة، الوجودية في الجاهلية، مجلة المعرفة ، سوريا، العدد ٤، السنة ٢، حزيران، ١٩٦٣م

ابن قيس الرقيات، عبيد الله، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق وشرح: الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، (د. ط)، بيروت، ١٩٥٨م

المبيضين، ماهر، د. حسين عطوان: المنهج وصدق التجربة، مجلة أفكار، وزارة الثقافة الأردنية، العدد ١٧٦، حزيران، ٢٠٠٣م

هلال، محمد غيمي، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، (د.ط)، مصر، ١٩٩٧م